العوامل المؤثرة في شخصية المُفكِر الإسلامي «فريد الأنصاري»

The influential factors shaping the personality of the Islamic thinker Farid al-Ansari

أ. م. د. رقية شاكر منصور

ريام محمد غازي

Dr. Roqaya Shakir Mansour

Reyam Mohammed Ghazi

جامعة بغداد- كلية التربية للبنات/ قسم علوم القرآن

The University of Baghdad, College of Education for Women

Department of Quranic Sciences

الملخص

يتناول هذا البحث لمحة عن حياة فريد الأنصاري، والعوامل التي أسهمت في تشكيل شخصيته بوصفه مفكرا إسلاميا معاصرا، ويبدأ بتسليط الضوء على سيرته ، ويقدم نبذة عن الشخصيات البارزة التي أثرت فيه. كما يعرض للبيئة التي نشأ فيها والتي تركت آثارها فيه ، كما يقف عند الشخصيات الدينّية والفكريّة التي تركت بصمتها على أفكاره.

وتقوم إشكالية البحث على سؤال جوهري هو: كيف تكونت شخصية فريد الأنصاري؟ ويتفرع عن هذا السؤال الكبير أسئلة فرعية منها:

- من هو فريد الأنصاري؟
- ما هي العوامل التي صنعت منه مُفكرا؟
- من هي الشخصيّات التي تأثر بها؟

ويعتمد البحث للإجابة عن هذه الأسئلة المنهج الاستقرائي لمجموع ما كتب عن الرجل وعن البيئة والشخصيّات التي أسهمت في تكوينه، مع المنهج الوصفيّ عبر جمع المعلومات وتلخيصها وتصنيفها وتقسيمها ثم المنهج التحليلي من خلال التركيب والتقويم والتفكيك.

كما يستهدف البحث إلى الكشف عن عمق شخصية الأنصاري والمنابع التي ارتوى منها فكريا فتشكلت بها تصوراته.

ويتخذ البحث لبلوغ هذه الغايات مقدمة ومبحثين يضم كل واحد منهما أربعة مطالب وخاتمة بأبرز النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: فريد الأنصاري-شخصية- العوامل المؤثرة

Abstract

This research provides an overview of the life of Farid Al-Ansari, examining the factors that contributed to shaping his personality as a contemporary Islamic thinker. The study begins by shedding light on Farid Al-Ansari's biography, offering insights into prominent figures who influenced him. He emerges as a leading figure in the field of religious reform and contemporary Islamic thought, showcasing himself as a productive and influential individual in this realm. The research explores the impact of his upbringing and environment on his character formation, as well as delves into religious and intellectual figures that left their imprint on the development of his ideas.

The research problem revolves around a fundamental question: How did the personality of Farid Al-Ansari evolve? Subsidiary questions stemming from this central inquiry include:

- Who is Farid Al-Ansari?
- What are the factors that shaped him as a thinker?
- Which personalities influenced him?

To address these questions, the research employs an inductive approach, drawing on a review of literature about the man, his environment, and the personalities that contributed to his formation. The descriptive method is utilized for collecting, summarizing, categorizing, and classifying information, while the analytical method involves structuring, evaluating, and dissecting the gathered data.

The research aims to uncover the depth of Al-Ansari's personality and the sources that intellectually enriched him, shaping his perspectives. To achieve these objectives, the research is structured with an introduction, two main sections each comprising four subsections, and a conclusion highlighting key findings and recommendations.

Key words: Farid Al-Ansari, Personality, Influential Factors

العوامل المؤثرة في شخصية المفكر الإسلامي فريد الأنصاري

المقدمة

يتناول هذا البحث لمحة عن حياة الشخصية لفريد الأنصاري، والعوامل التي أسهمت في تشكيل شخصيته بوصفه مفكرا إسلاميا معاصرا، ويبدأ البحث بتسليط الضوء على سيرته حياة فريد الأنصاري، ويقدم نبذة عن الشخصيات البارزة التي أثرت فيه. فهو الشخصية الرائدة في مجال الإصلاح الدعوي والفكر الإسلامي المعاصر، ويظهر كشخص منتج ومؤثر في هذا المجال، وذلك كله بتأثير كما يعرض للبيئة التي نشأ فيها والتي تركت آثارها فيه أثرت على تكوين شخصيته، كما يقف عند كذلك الشخصيّات الدينيّة والفكريّة التي تركت بصمتها على تطوير أفكاره.

وتقوم إشكالية البحث على سؤال جوهريّ هو: كيف تكونت شخصّية فريد الأنصاري؟ ويتفرع عن هذا السؤال الكبير أسئلة فرعية منها:

- من هو فريد الأنصاري؟
- ما هي العوامل التي صنعت منه مفكرا؟
- من هي الشخصيات التي تأثر بها؟

ويعتمد البحث للإجابة عن هذه الأسئلة المنهج الاستقرائي لمجموع ما كتب عن الرجل وعن البيئة والشخصيات التي أسهمت في تكوينه، مع المنهج الوصفي عبر جمع المعلومات وتلخيصها وتصنيفها وتقسيمها ثم المنهج التحليلي من خلال التركيب والتقويم والتفكيك.

كما يهدف البحث إلى الكشف عن عمق شخصية الأنصاري والمنابع التي ارتوى منها فكريا فتشكلت بها تصوراته.

ويتخذ البحث لبلوغ هذه الغايات مقدمة ومبحثين يضم كل واحد منهما أربعة مطالب وخاتمة بأبرز النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

نبذة عن فريد الأنصاري والعوامل المؤثرة في تكوين شخصيته

المطلب الأول: نبذة عن فريد الأنصاري

أولا- اسمه وكنيته: إنَّ اسمه الشخصي هو فريد. أما كنيته: أبو أيوب الأنصاري[1]، وكان يختم كتبه بقوله: «وكتبه عبد ربه راجي عفوه وغفرانه: فريد بن الحسن الأنصاري الخزرجي السجلماسي».

ثالثا- نسبه: يرجع نسبه بناء على بحث قام به بنفسه الى الصحابي الجليل سعد بن عبادة -رضي الله عنه-[2].

ثانيا- مولده: ولد فريد الأنصاري في ١٩ ربيع الثاني، سنة ١٣٨٠هـ، بواحات سجلماسة في قرية أمازيغية تسمى (أنِّيف) الواقعة بين مدينتي تنجداد وتنغير، والتابعة لإقليم الرشيدية، وهو إقليم يقع في الجنوب الشرق للمغرب[3].كان والده الحسن بن محمد بن حسن الضرير الفقيه بن محمد بن المكي القاضي - والذي نزح من منطقة بحاير الأنصار[4] - وهي المنطقة التي أصابها السيل الى منطقة الجرف بتافيلالت

(١) مقال بعنوان: أبو أيوب الأنصاري في رحلة العمر، لعبد الحميد الأنصاري، (ص: ٢٢).

(٢) م. نفسه (ص: ٢٢).

(٣) ينظر: رواية أسفار الروح سيرة فريد الأنصاري، لمحمد الطاهري، الدار المغربية للنشر والتوزيع، المغرب، (ط: ١)، ١٤٤٣ هـ/٢٠٢٢م، (ص: ٥٣).

(٤) (بحاير الأنصار) بقلم المرحوم فريد الأنصاري: هي قبيلة خزرجية تقطن بمنطقة سجلماسة التاريخية الشهيرة، جنوب شرقي المغرب على حدود الجزائر وسجلماسة تسمى اليوم "تافيلالت" وهي من أجمل واحات النخيل في العالم بلا منازع! تتخللها جبال صغيرة، وتحيطها تلال رملية كبيرة ذات منظر خلاب!... وتقسيمها الإداري تابع لإقليم الرشيدية وقراها الصغيرة تسمى القصور وإنما هي عبارة عن حصون مستطيلة الشكل مبنية بالطين. ومنها قصر بحائر الأنصار وأنصار البحائر بسجلماسة عرب أصلاء، ما يزالون يتكلون بلهجة عربية هي من أقرب اللهجات إلى الفصحى الأم! بل إنني أجد في قاموسها الشفوي من الكلمات العربية التي تعتبر اليوم من الغريب! ومما لا يفهم في الفصحى إلا بعد الرجوع إلى المعاجم القديمة! وكما أن أنصار البحائر يتميزون بالكرم والشهامة، والاشتغال بالعلوم الشرعية كما اشتغلوا بفلاحة الواحات وغرس النخيل، تماما كأجدادهم في المدينة المنورة ولذلك سمي قصرهم في سجلماسة بالبحائر، والبَحَائِرُ: جمع بحيرة، وهي: مزرعة صغيرة للفواكه الأرضية كالبطيخ بأنواعه، والقثاء، وبعض الخضروات كالباذنجان، والقرع بأنواعه، والملوخية المغربية "الباميا" وسميت البحيرة بذلك اشتقاقا من البَحْرِ وهو فعل الشّق تقول بَحَرَ الأرضَ إذا شقها بالمحراث. وبَحَرَ الناقةَ: إذا شق أذنها، وهي البحيرة المذكورة في القرآن أما بحيرة الفلاحة فهي أرض منخفضة تُشَق بطريقة خاصة ذات خطوط ملتوية لتيسير السقي، مقال بعنوان: العلامة الاستاذ الدكتور فريد الأنصاري المغرب، لأبي جاسم محمد عندالله الأنصاري، بوابة الأنصار العالمية. (al-anssar-world.com)، تمت زيارته بتاريخ: ٢٠٢٣/١٠/٠٤.

جنوب شرق المملكة المغربية[1]- خريج القرويين ومعلما فيه[2].

أما أمه فاسمها عائشة بنت مهاجر فقد كانت شديدة التدين لا تفتر عن البعادة والذكر، وتربت في حجر جدتها لأمها الأمازيغية[3]، التي غرست في ابنها فريد بذرة التدين، مما انعكس عليه بالخير؛ فشب وترعرع على الخلق والدين، وبر الوالدين، فكان يساعد والده خارج البيت وإن كان يقسو عليه أحيانًا؛ ليحسن تربيته وتعليمه، ومع ذلك كان يحبه ويبره[4]، حتى إنه أشار إليه في إهداء أطروحة رسالته للدكتوراه حيث قال: «إلى الذي ترقب هذا الغرس فرحل قبل إبانه. وقد عاش معلمًا يغرس القراءة جيلاً بعد جيل. والدي حسن بن محمد الأنصاري رحمه الله وغفر له»[5]، كما كان يساعد والدته في أعمال المنزل.

رابعا- نشأته: نشأ فريد الأنصاري بمنطقة القصور (قصر الترعة) بالجرف، بين أحضان أسرة متدينة، وبقي طفولته هناك، في جو عائلي وبيئي شبيه جدا بما كتبه في رواية (كشف المحجوب)، فالبيت الموصوف في الرواية بمن فيه، يكاد يكون بيت جده، وكان له سبعة إخوة، ثلاثة ذكور، وأربع إناث[6].

وكان الأنصاري في صغره يجيد الأمازيغية ويتكلم بها، واحتفظ بقدرته على فهمها في كبره، وإن كان نسي الإفصاح بها[7]، ونشأ مع ذلك مولعاً بالأدب العربي شعراً ورواية، أسهم ذلك في صقل مواهبه الأدبية.

دخل المدرسة الوحيدة في القرية دون علم والده، ثم علم بعد ذلك والده فأسقطه في مرحلة التعليم الأبتدائي سنتين تشديداً منه عليه في التأهيل العلمي، فأتم التعليم الإبتدائي سنة ١٩٧٤م، فقد وزع نفسه وقسم وقته الى حفظ القرآن على فقيه الجامع، وقراءة أواخر الأذكار مع الفقراء بالزاوية، والذهاب الى

---

(١) مقال بعنوان: أبو أيوب الأنصاري في رحلة العمر، لعبد الحميد الأنصاري، جريدة المحجة - ع: ٣٣٠-٣٣١ - (عدد خاص بالدكتور فريد الأنصاري)، ١٦ محرم ١٤٣١هـ ٢ يناير ٢٠١٠م، (ص: ٢٢).

(٢) ينظر: علماء وصلحاء أدركتهم، لعبد الله عبد المومن الغماري الحسني، منشورات دار الأمان، الرباط، المغرب، (ط: ١)، ٢٠١٤م، (ص: ١٤٨).

(٣) الأمازيغ: اسم يطلق على من يتكلّم «الأمازيغية» وهم السكان الأصليون في الشمال الإفريقي الذين ينتشرون في مساحة تمتدّ من برقة وواحة سيوة على مشارف مصر شرقا، حتى المحيط الأطلسي غرباً، وعلى امتداد الصحراء الكبرى والساحل الإفريقي حتى مالي والنيجر جنوباً. بعد الفتح الإسلامي لمصر عام ٦٤١م وصل المسلمون إلى برقة عام ٦٦٩م ثم إلى طرابلس وفزان، غير أنّ مرحلة الفتح المنظمة بدأت على يد عقبة بن نافع الذي وصل إلى سواحل المحيط الأطلسي غرباً. ثم تبعه حسان بن النعمان ثم موسى بن نصي، والأخيران هما اللّذان استكملا فتح المغرب والأندلس. من هم الأمازيغ وما أصل تسميتهم؟ لنوميديا جروفي، ديوان العرب منبر حر للثقافة والفكر والأدب، (diwanalarab.com)، تمت زيارته بتاريخ: ٢٠٢٣/١٠/٠٤.

(٤) مقال بعنوان: أبو أيوب الأنصاري في رحلة العمر للدكتور عبد الحميد الأنصاري، جريدة المحجة، (ص: ٢٢).

(٥) المصطلح الأصولي عند الشاطبي، لفريد الأنصاري، دار السلام، القاهرة، (ط: ٢)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، (ص: ١).

(٦) ينظر: كشف المحجوب، لفريد الأنصاري، مطبعة آنفو برانت، فاس، المغرب، (ط: ١)، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، (ص: ٣١).

(٧) مقال بعنوان: أبو أيوب الأنصاري في رحلة العمر، لعبد الحميد الأنصاري، جريدة المحجة، (م.سابق)، (ص ٢٢).

المدرسة، ثم مساعدة أبيه في عمل الحقول خلال عطل نهاية الأسبوع والعطلة الصيفية[1].

ومن الذين أشرفوا على تربيته صغيرا بعد أمه، أذكر:

١- والده الحسن الأنصاري:

فقد أثر فيه بفعله قبل قوله وبأخلاقه وعلمه، وكان له أسلوب خاص في تربيته، وأكثر ما تأثر به منه الحرصُ على النظام والمنهج في الحياة عامة؛ يقول في ذلك فريد الأنصاري في مقدمة كتابه أبجديات البحث في العلوم الشرعية: «للمنهج العلمي عندي قصة تبدأ منذ صباي، فقد طبع والدي بيتنا الذي نشأت فيه بما كان يسميه (النظام)، من خلال أفعاله وأوامره»[2]؛ فلذلك نشأ فريد على خطى والده ملتزما بالنظام في سائر أموره.

٢- الشيخ محمد الصغيري[3]:

وكان يُلقَّبُ بـ(الفقيه الأكبر)، وهو عالمٌ وفقيهٌ مالكيٌ متفتحٌ، ورجلٌ ورِعٌ تقيٌ، ساهم في نشر الفكر الوسطي في المنطقة التي كان فيها، وكان له الأثر الكبير في توجيه فريد الأنصاري من الناحية التربوية والفكرية، حيث كان يرتاد حلقاته العلمية والتربوية في مسجد المنطقة مع بعض زملائه[4].

خامسا: وفاته: كانت معاناة الأنصاري مع المرض شديدة خلال الثلاث سنوات الأخيرة من حياته؛ أما بداية مرضه -رحمه الله - فقد كانت على يبدو سنة ٢٠٠٦م، وكان أول شعوره بالمرض أنه يجد صعوبة في حمل الأشياء، حيث إنه لما يحمل براد (إبريق) الشاي مثلا يجد بعض المشقة في حمله أو الألم في مفصل كفه (الكوع)، واعتقد بعض محبيه أن مناعته ضعيفة فأجرى تشخيصا لها ليتبين أن الإشكال لا يوجد فيها، ومن هنا بدأت رحلات علاجه.

و»في الخامس من نوفمبر سنة ٢٠٠٩م/ ١٧ ذو القعدة ١٤٣٠ هـ توفي العالم الجليل، الشيخ المربي، الدكتور فريد الأنصاري بمستشفى «سما» بإسطنبول بتركيا، ونقل جثمانه الكريم إلى بلده المغرب

---

(١) ينظر: كشف المحجوب، لفريد الأنصاري، (ص: ٣٢).

(٢) أبجديات البحث في العلوم الشرعية، لفريد الأنصاري، (ت: ١٤٣٠هـ)، منشورات الفرقان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (ط: ١)، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، (ص: ٧)

(٣) وهو الشيخ محمد بن العربي صغيري السجلماسي، ولد بالسيفة، إقليم الراشيدية في ١٩١٨/٠٤/٢٠م، درس بجامع القرويين بفاس، وانتقل إلى الجرف سنة ١٩٥٠م، ليكون إماما ومعلما فيها، فكان من أشهر العلماء فيها، درس عليه الكثير من الطلبة الذين تقلدوا مناصب إدارية وعلمية في المغرب، ومنهم من صار من العلماء المشهورين توفي بمكناس، في (٢٠٠٥/١٢/١٥م). ينظر: رجال صدقوا سيرة عالم رباني من أبناء سجلماسة، لأبي زكريا محمد بن العربي صغيري، الدار البيضاء، المغرب، (ط: ١)، ٢٠٠٩م، (ص: ٣١- ٥٩).

(٤) ينظر: أطروحة دكتوراه بعنوان: (جهود الدكتور فريد الأنصاري في تجديد الفكر الإسلامي)، لسعد عي، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، الجزائر، ٢٠٢٠-٢٠٢١م، (ص: ١٠٣).

بمكناسة الزيتون تنفيذا لوصيته حيث دفن بعد صلاة الظهر يوم الأحد ٨ نوفمبر ٢٠٠٩»[١]، وقد وافته المنية في مسجد الأزهر المعروف بجامع الاروى بحي السلطان محمد بن عبد الله وقد كان المسجد يومها ممتلئا عن آخره رغم كبر مساحته وامتلئت الساحة أمام المسجد بالمصلين الآتين من كل حدب وصوب من المغرب وخارجه وكان هذا ملحوظآ كان عدد المشيعين للجنازة يقدرون بالآلاف في موكب مهيب حيث امتلئت الطرقات والأزقة المؤدية للمقبرة بالمشيعين كما امتلئت المقبرة ومحيطها بالناس بل حتى أسطح المنازل لمتابعة مراسم الدفن والجنازة[٢].

كانت هذه نبذة مختصرة عن حياته -رحمه الله-، وقد أسهمت من عوامل كثيرة في صناعته وتكوين شخصيته منها:

المطلب الثاني: البيئة الطبيعية والعمرانية

لا شك أن البيئة التي عاش فيها فريد الأنصاري لها أثر كبير في بناء شخصيته وتحديد أتجاهاته وأفكاره، ولذلك تعد دراستها مهمة في البحث وهو ما خصصت له هذا الحيز.

ولد فريد الأنصاري في منزل مبني بالتراب بقصر من قصور بتافيلالت، التي تسمى الآن بإقليم الرشيدية جنوب شرق المملكة المغربية، وهي على الحدود الغربية الجنوبية للجزائر، و تعد من أجمل واحات النخيل في العالم بلا منازع، تتخللها جبال صغيرة، وتحيطها تلال رملية كبيرة ذات مناظر خلابة، وتجري تحتها سواقي رقراقة تسمى ب»الخطارات»، ولذلك فهي مقصودة بالسياح من كل مكان، وسميت قراها الصغيرة بالقصور لأنها أشبه ماتكون بالحصون، فهي عبارة عن مجموعة من الدور الترابية، تتقابل أبوابها في صفوف من المنازل الطينية المسقفة بجريد النخل وخشبه، وفضاءاتها مظلمة ليل نهار لولا حلقات صغيرة تتخلل السقوف هنا وهناك؛ حيث يتسرب منها بعض الضوء نهارا[٣].

وقد وصف فريد الأنصاري القصور التي كانت بالمنطقة التي نشأ فيها بالشامخة، المحصنة بأسوارها وأبراجها الأربعة، بين التلال والرمال، أو بين غابات النخيل، أو بينهما معآ[٤]، وهي أوصاف تنبئ عن جمال طبيعي ربما يفسر الحاسة الجمالية والذوقية الكبيرة للرجل، والتي أهلته ليكتب الأدب والشعر.. فعلاقة البيئة بالتنشئة غير خافية، ولذلك كان للأنصاري ما كان، بفضل هذه البيئة التي وصفها فقال:» كان

(١) فريد الأنصاري وواجب الترحم والوفاء في الذكرى الخامسة لرحيله، لعبد العزيز الإدريسي، هيئة تحرير مكناس بريس ٢٠١٤-١١-٠٥ ٠٧:٤٧:٠٧ ، http://www.meknespress.com/articles/details/6019/

(٢) ينظر: فريد الأنصاري الأستاذ المربي، للأستاذ حميد السراوي، جريدة المحجة، (ص ٥١).

(٣) ينظر: كشف المحجوب، لفريد الأنصاري، (ص: ٣٠).

(٤) م. نفسه، (ص: ٣٠).

بستانناآ ربيعي الأريج.. وكان النهر القريب ينساب في سكون، فتنبعث منه رائحة العشب والطين... هذه سيدة اللوز كانت وحدها دوحة عظيمة والباقيات صبايا مشمش و إجاص، وبرقوق كلهن مزهرات ساحرات، احتفالا بشمس أبريل الجميلة، وعذارى لوز شاردات هنا وهناك في كل الأركان، داليتان اثنتان فقط كانتا تتنافسان في إبداء أجنة العناقيد المزهرة، وللنحل بين خمائلهما طنين لا ينتهي أبدا... تموجت التلال ماء زلالا كانت مواكب الطيور من هديل، وصفير وتغريد؛ ما تزال تعمر البستان بالحياة، وكانت الظلال تميد هادئة في رضاب الأصيل... البستان وحده كان متنفسي الوحيد، أحببت اليمامة حتى بكيت لحدائها، صادقت العصافير كلها، تعلمت منطقها السري، فأدركت منه لغات فاتت فريد الدين العطار»[1].

واضح إذن أن الهدوء المترتب عن هذه البيئة وسعة الصدر والتأمل العميق والصبر على متغيرات الحياة قد نمت داخل فريد الأنصاري نتيجة لتأثير هذا المحيط، « فكان -رحمه الله- فريداً في سمته وحركاته وفراسته طويل التأمل والتفكر، دائم التيقظ والتركيز، كثير الانشغال بهموم الإسلام والأمة، يلتقي الرجل مرة أو ينظر إليه نظرة فيعرف من أي صنف هو من الناس، ومن أي طينة من البشر، ومن أي معدن من الرجال، وكان رحمه الله فريدا في مساره العلمي، سريع الفهم، حاضر البديهة، واسع الاطلاع، حسن الإفادة والتوظيف، ذا حس نقدي واضح»[2].

وهذا التأثير هو ما ظهر عليه أخلاقا رفيعة تجلت في الحياء والتواضع والكرم والبساطة ونقاء السريرة.

بل لقد بلغ مداها أن أثرت في وجدانه بطابعها الرفيع والشعور المرهف، ويظهر ذلك من خلال تفكيره العميق وقدرته على فهم معاني الآيات القرآنية بطريقة متفردة ومتميزة عن المفسرين الآخرين.

في أنَّ هذه البيئة الجميلة لها وجه آخر قاس ترك بدوره آثاره على المحيط الاجتماعي وعلى الأنصاري كذلك، وقد ظهر ذلك في الوصف الذي قدمه لطفولته في هذا المحيط، حين تحدث في روايته كشف المحجوب عن ذلك وذكر أن البيئة هذه لم تمنحه الفرصة لسماع كلمة حب من أهله وأقاربه، فقد كانت قلوبهم مغلفة بالصلابة والجفاء نتيجة الصعاب والتحديات التي فرضتها أجواء الصحراء القاحلة التي لا يصبر على صعوباتها إلا قليل[3].

المطلب الثالث: البيئة الأسرية والاجتماعية

يمكن للباحث أخذ فكرة عامة عن البيئة الأسرية والاجتماعية التي نشأ فيها الأنصاري إن سبق له وأخذ فكرة واضحة عن السكان المنحدرين من قصور تافيلالت، ذلك بأنهم بسطاء يقنعون بالقليل،

(١) كشف المحجوب، لفريد الأنصاري، (ص: ١٩- ٢٠).

(٢) مقال بعنوان: رجل فريد بين عمر فريد وموت فريد، لعبد الكبير حميدي، جريدة المحجة - ع: ٣٣٠- ٣٣١، (ص: ١٤).

(٣) ينظر: كشف المحجوب، لفريد الأنصاري، (ص: ٢٠).

وأغلبهم فقراء ومساكين، ومجال اشتغال أكثرهم في الفلاحة، وقد نشأ الأنصاري وعاش هو الآخر -وهو منهم- ضمن أُسرة تنتمي إلى الفئة المادية المتواضعة، في بيئة اجتماعية متسمة بالطابع الفلاحي، حيث كان الأمية سائدة. ورغم أن والده كان يشغل وظيفة مُعلم في إحدى المدارس الابتدائية بالجرف، إلا أن أفراد أُسرته كانوا يمارسون الزراعة على غرار باقي الأُسر في المنطقة. ويرسم هذا الحقيقة بوضوح في قوله: « كنت أصغر إخوتي السبعة ثلاثة ذكور وأربع بنات.. أما أبي ففلاح بسيط لا هو من أغنياء القبيلة ولا من معدميهم.. حينما بلغت سن العاشرة؛ لست أدري كيف فكرت في المدرسة.. سرقت لوحآ و طبشوراً فذهبت مع التلاميذ هكذا.. كل إخوتي الكبار كانوا من نصيب الأمية؛ لأن العمل بمزرعة النخيل كان قدراً ينتظر كل ذكر تلده أنثى بهذا البلد»[1].

ويظهر أن إقباله على العلم يرجع ربما إلى التنشئة التربوية التي تلقاها في البيت والتي كانت تحرص على التدين والتقيد به وبالنظام والتنظيم، ويبدو أن هذا التنشئته هي التي أسهمت بشكل كبير في إقباله على العلم والدين في الشباب والكبر، وهذا ما عبر عنه عبد السلام الهراس بقوله: «نشأ فريد الأنصاري في جو إسلامي أصيل وتربى في بيئة أسرية عريقة وعاش مع ثلة من المؤمنين الصادقين وأكرمه الله بموجهين جمعوا بين العلم والإخلاص، وقد توسمتُ فيه الخير والفضل منذ عرفته»[2]، وطبيعي أن يكون هذا شأن من أحاط نفسه بأهل الخير وخرج من أسرة تربية وصلاح.

المطلب الرابع: البيئة العلمية والدينية

نشأ الأنصاري كما ذكرت في بيت علم وورع، وكان والده المعلم يصحبه إلى المدرسة، وبسبب حرصه الشديد على سلامته من سوء الأصدقاء كان يمنعه من الخروج من المنزل في صباه، ونتيجة لهذا الحرص كان يمتلك صديقًا وحيدًا في طفولته، وكان هو (الحاج المهدي بابا خويا)، وهذا الوضع دفع الطفل فريد إلى استغلال وقته في المنزل لفترات طويلة في القراءة والتعلم[3]، فتفرغ بشكل أساسي لقراءة كتب الأدب واللغة، وأظهر اهتمامًا بالغًا بهذين المجالين، حيث قام بقراءة كتاب «لسان العرب» لابن منظور بالكامل عندما كان يدرس في المرحلة الابتدائية، وهو إنجاز ملفت للنظر، ويعكس حبه للغة والأدب في في هذه السن الصغيرة، فترسخت لديه مهارات لغوية وأدبية عالية نتيجة هذا التفرغ للقراءة والتعلم.

(١) كشف المحجوب، لفريد الأنصاري، (ص: ٣١).

(٢) مقال بعنوان: تشييع فريد لأخينا فريد، لعبد السلام الهراس، جريدة المحجة، ع: ٣٣٠، ٣٣١، (ص: ٥).

(٣) ينظر: جهود الدكتور فريد الأنصاري في تجديد الفكر الإسلامي المعاصر، لسعد عي، (ص: ١٠١).

المبحث الثاني

أبرز الأعلام المؤثرون في تكوين شخصية فريد الأنصاري

ذكرت فيما مضى أن كل من والد فريد الأنصاري المسمى بالحسن وكذلك شيخه المسمى محمد الصغيري قد أثرا في نشأة فريد وهو صغير، وفي هذا الجزء من البحث سأعرض لبعض الأعلام الذين أثروا فيه وهو كبير.

المطلب الأول: الشاهد البوشيخي

وهو شيخه وأستاذه وموجهه، العالِمان العامِلان العَلَمَان الأنصاري والبوشيخي لكأنهما وجهان لعملة واحدة، البوشيخي يعترف للأنصاري بالعبقرية والنبوغ، والأنصاري يعترف للبوشيخي بالفضل والريادة والأستاذية[1]، وفي ذلك يقول الأنصاري «كان اتصالي بأستاذي الفاضل الدكتور الشاهد البوشيخي الذي تعلمت منه تفاصيل «المنهج»، حيث كانت أقواله وأفعاله ترجمة لهذا المعنى، ولم يكن ذلك مقتصرًا لديه على البحث العلمي فقط، ولكن كان طابعًا يطبع كل حياته تقريبًا في سفره وحضره.. فتعلمت منه في كل ذلك بأن المنهج ضد الارتجال، وأنه لا يستقيم أمر بغير ترتيب، ولا يقوم بناء نسق وتركيب، وقد احتككت به في البحث العلمي باعتباره مشرفًا، فكان لي مرشدًا ودليل ميدان، يلتفت إلى الصغيرة والكبيرة، وينبه على الجليلة والحقيرة.. فكان من فضل هذه الصحبة المباركة عليّ أن تبينت ما كان مبهمًا من ملامح المنهج العلمي، فتجمع لدي من بنائه قواعد وأركان تمكنت -بحمد الله- بعد وفرتها، من إرجاعها إلى أصولها وسبكها في أنساقها»[2].

لقد كان للدكتور الشاهد البوشي دور كبير في حياة فريد الأنصاري، فقد كان الأستاذ المربي والشيخ الروحي والعالم الفقيه والموجه الحكيم وكل هذه الصفات قليلة في حقه، وكيف لا وقد سئل يوما لماذا لا تهتم بتأليف الكتب؟ فأجاب: لأني مهتم بتأليف الرجال!

وكان الأنصاري يلتقيه في الجامعة والبيت وغيرهما، وجالسه مرات ومرات، واستفاد من محاضراته ودروسه في الفقه والحديث والتفسير والتصوف، وسائر العلوم الإسلامية، فقد كان الرجل ولا يزال موسوعة

(١) فريد الأنصاري والشخصيات الخمس التأثر والتأثير، لعبد العزيز الإدريسي، مجلة حراء، ع: ٧٤، السنة ١٥، ٢٠١٩م، (ص: ٤٦)
(٢) أبجديات البحث في العلوم الشرعية، لفريد الأنصاري، (ص: ٧-٨).

تمشي على الأرض، وقيل إنه قرأ جميع الكتب الموجودة في مكتبة كلية الآداب ظهر المهراز بفاس، ثم إن شخصية الشاهد قد أثرت على شخصية الأنصاري تأثيرا كبيرا لكونه إلى جانب ماذكر قيادي كبير يوجه سير الحركة الإسلامية في المغرب، ولذلك كان له الدور الكبير في بناء شخصية الأنصاري العلمية والروحية.

ويبرز فريد الأنصاري الدور الحاسم للدكتور الشاهد البوشيخي في صياغة رؤيته المصلحية وتطوير قدراته الاجتهادية. فيستعرض إنجازاته ويسلط الضوء على دوره السابق وأثره البارز، من خلال أمثلة نكتفي بعرض اثنين منها هنا:

الأول: يقول الأنصاري: «لا بد من الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم، فقد كان لأستاذي المربي الدكتور الشاهد البوشيخي حفظه الله تعالى وسلمه، الأثر الأول في إثارة انتباهي إلى الأسرار الدعوية للقرآن العظيم، وما ينطوي عليه من كنوز ومفاتيح لكثير مما يختلف عليه الناس اليوم من قضايا تجديد الدين، وذلك من خلال ما تلقيناه عنه من دروس علمية وتربوية في وقت كان الالتفات إلى هذا نادرًا، فله من الله الجزاء الأوفى على ما علَّم وربى»[1].

والثاني يقول فيه الأنصاري: «والله الحليم الكريم أسأل أن يبارك في عمر الأستاذ - ولقد كان ولا يزال هو (الأستاذ) - ويحفظه ذخرًا للأجيال، فإن له في صناعة (الإنسان) عمومًا، وصناعة (الباحث) خصوصًا؛ لمهارة وأي مهارة! فانظر أي خرم يصيب الأمة بفقد مثله - حفظه الله- وأي خسارة!»[2]، وهاذين المثالين في الحقيقة يعتبران درسا كبيرا في ما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الطالب والأستاذ، وتذكرنا بعصور علمية زاهرة عرفها التاريخ الإسلامي، بمعنى أن الذي صنع الأنصاري ليس هو نظام تعليمنا الجامعي المغربي في شعب الدراسات الإسلامية، وإنما الذي خرجه هو صحبته لشيخ عالم مربي « لمدة تصل أكثر من عقد من الزمان، أخذ عنه علم الدعوة والبحث العلمي، كما أن الأنصاري كان موفقا في تركيزه على مجال واحد من مجالات المعرفة الإسلامية، أقصد: أصول الفقه، حيث إنه طيلة مسيرته البحثية لا يفارق هذه المادة العلمية، و هذا الارتباط الوثيق بها أسهم في تشكيل منهجية تفكيره»[3].

(١) بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إبصار لآيات الطريق، لفريد الأنصاري، دار السلام، القاهرة، (ط: ١)، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، (ص: ٢٠).

(٢) المصطلح الأصولي عند الشاطبي، لفريد الأنصاري، (ص: ٤١).

(٣) ينظر مقال: الأنصاري سيرة عالم من التلقي إلى المراجعة، لمصطفى بوكرن، في كتاب: فقه الإصلاح قراءة في التجربة الإصلاحية للعلامة فريد الأنصاري رحمه الله تعالى، إشراف وتنسيق: د. عبد العزيز الإدريسي، (مؤلف يجمع أعمال الندوة العلمية الدولية بمناسبة الذكرى العاشرة لفوفاة فريد الأنصاري نظمتها حركة الاوحيد والإصلاح فرع آسفي بتاريخ: ١٣-١٤ يونيو ٢٠٢٠م)، دار الأمان، الرباط، المغرب، (ط: ١)، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م، (ص: ١٧٩).

ولآخر أيام حياة الأنصاري كان يؤكد أنه على أثر خطى أستاذه في العلم والدعوة، وفي ذلك يقول: «أنا أسير على خطى أستاذنا الدكتور الشاهد البوشيخي فيما يمكن أن أسميه بالمدرسة القرآنية أو مدرسة الفطرة في الدعوة والدين»[1]، وهذا يدل على عمق التأثر والاقتناع به وبأفكاره.

وإن من «الملفت للنظر أن يكون الإشراف في جميع البحوث للشيخ العلامة الشاهد البوشيخي، ولذلك عند قول الأنصاري في كتاباته «الأستاذ» دون أن يسمي من هو هذا الأستاذ، فالمقصود به الشاهد البوشيخي، فهو مربيه و أستاذه، وأثمرت هذه الصحبة معاني وجدانية عميقة، و منهجيات علمية دقيقة[2]، وأذكر ختاما أن الشاهد البوشيخي استطاع تخريج العدد من القيادات الدعوية والعلمية والتربوية بالمغرب إلى جانب فريد الأنصاري، ومن هؤلاء أذكر: الدكتور حسن بوكبير(رئيس مؤسسة فريد الأنصاري ورئيس مركز السراج للبحوث والدراسات)، الدكتور عبد الرحمان بوكيلي(داعية وواعظ وخطيب له إسهامات كبيرة في أعمال قرآنية يشرف عليها، ابرزها إدارته لرابطة الإمام ورش)، الدكتور عبد الواحد الحسيني(مدير معهد القراء للتعليم العتيق وأكاديمي جامعي ومرشد أسري وناشط دعوي وعلمي)، الدكتور شاكر الموذني(رئيس جمعية مغرب الفن سابقا، وعضو هيئات دولية ووطنية، وقيادي سابق في حركة التوحيد والإصلاح) وغيرهم.

المطلب الثاني: أبو إسحاق الشاطبي

وهو من أكثر من تأثر بهم الأنصاري في حياته العلمية؛ إذ تعمق في فهم نظريته المقاصدية وجدد فيها بما يناسب الواقع، ولعل الأنصاري من المؤهلين إلى جانب أحمد الريسوني(رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين سابقا) أكثر من غيرهما بصفة وراثة علم الشاطبي في العصر الحاضر، بل لقد قال عنه عبد العزيز الإدريسي في مقال له بمجلة حراء التركية: «أكاد أجزم أن الدكتور فريد الأنصاري، هو أكثر العلماء المعاصرين تأثرًا بالإمام الشاطبي، بل وأعمق من استوعب نظرية المقاصد عن الإمام الشاطبي، دل على ذلك قدرته العجيبة في عرضها وشرحها وتقريب أفكارها، واجتراح إشكالاتها، وتتبع مفاهيمها وبسط مصطلحاتها، كيف لا وهو الذي أتقن اللسان، وتمكن من ناصية البيان، وصحِب الفحول، وتخصص في الأصول، ونخل كتب الشاطبي وتراثه بمنهج الدراسة المصطلحية»[3]، والحقيقة أن ما أجراه الأنصاري عن الشاطبي من أبحاث ورسائل علمية وتخصيص رسالته للدكتوراه للمصطلح الأصولي عند الشاطبي

(١) مقال بعنوان: فريد الأنصاري، آخر حوار أجرته جريدة المحجة مع الدكتور فريد الأنصاري في شهر أفريل ٢٠٠٩م قبل ذهابه الأخير إلى تركيا، جريدة المحجة، ع: ٣٣٠، ٣٣١، (ص: ٥٥).

(٢) مقال: سيرة عالم من التلقي إلى المراجعة، لمصطفى بوكرن، في كتاب: فقه الإصلاح، (ص: ١٧٨).

(٣) مقال بعنوان: فريد الأنصاري والشخصيات الخمس التأثر والتأثير، لعبد العزيز الإدريسي، مجلة حراء، (ص:٤٧)

يؤكد ويترجم ذلك؛ يقول الحسن قايدة[1] «ولكي نقف بشيء من التفصيل على مصطلحية فقيدنا رحمه الله، فلنبدأ قصة رحلته في مشواره العلمي بخصوص الدراسات المصطلحية، المرحلة الأولى: صلته الأولى بالمصطلحية: البحث في المصطلح عموما والمصطلح الأصولي خصوصا، قديم عنده فهو يرجع إلى مرحلة الدراسات الجامعية العليا في سلك تكوين المكونين السنة الأولى (١٩٨٥م- ١٩٨٦م)، حيث دشن مشروعه العلمي العمري ببحث أنجزه تحت إشراف شيخه ومربيه -كما يصرح رحمه الله دائما- الدكتور الشاهد البوشيخي، بعنوان: (الأصول والأصوليون المغاربة)، ومند ذلك الحين انطبعت في ذهنه الحاسة المصطلحية، أما المرحلة الثانية: بداية معاشرة الشاطبي في موافقاته: بعد تلك البداية الموفقة، التي حركت فيه رحمه الله الإحساس بأهمية الدراسة المصطلحية وخطورتها، اقتحم بحر الموافقات ليعارك أمواجه ولججه، وذلك من خلال بحث أولي للسنة الثانية من تكوين المكونين (١٩٨٦م-١٩٨٧م) تحت عنوان: (مصطلحات أصولية في كتاب الموافقات للشاطبي: مادة قصد نموذجا) وهذا ما أتاح له رحمه الله الاقتراب والاندماج في الدراسة المصطلحية عمليًا من خلال التطبيقات التي أثمرت لديه حظا من التصور حول قضايا المصطلح، وورثت لديه المزيد من الانفتاح على عالم المصطلحية»[2].

ولا يخفي الأنصاري تأثره بالشاطبي[3] في العلم والفكر بقوله: «رغم أن ابتداء القصد باختيار (الشاطبي) صاحبًا إنما كان راجعًا إلى حجيته العلمية رحمه الله - كما أسلفنا - وإلى تشجيع أستاذنا الدكتور الشاهد البوشيخي -حفظه الله- بعبارته التي طالما سمعته يرددها وهي أن صحبة الفحول تفحل!» بيد أن تواتر العمل بنصوص أبي إسحاق، والاشتغال بمصطلحه الأصولي، بحثا، ودراسة، وتدريسا؛ قدح في خاطري هذا القصد الطارئ، وذلك بعدما أثمرته الدراسة التطبيقية، بصورة تلقائية، من معان تربوية للمصطلحات الأصولية، فكان أن عقدت لذلك فصلا خاصا لرسم ملامح هذه الظاهرة - في القسم الأول - كما سنرى بحول الله ولعلها فريدة من فرائد أبي إسحاق، فما رأيت - وليس مثلي من يرى أصوليا نحا بالمصطلح الأصولي هذا المنحى، حتى جاء بعلم لم تزل مادته (شاهدة) على عصرنا هذا، شهودا جديدا كل الجدة وقد عاش من قبلنا بنحو سبعة قرون فلله دره أي رجل كان»[4].

وبذلك يتضح مدى استيعاب الأنصاري لعلم الشاطبي وما أدراكما هو، كما يتضح كذلك مدى سعة استفادته منه، فلذلك أحبه وكانت جل دراساته الأصولية حوله، وأحيا أثره، وصدق من قال إن صحبة

---

(١) دكتور وأستاذ مكون بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين لجهة الشرق، وكان من تلاميذ الأستاذ فريد الأنصاري رحمه الله.

(٢) ينظر: مقال بعنوان: إسهامات الشيخ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله في الدراسات المصطلحية، لحسن قايدة، موقع الملتقى الفقهي، على الرابط: https://feqhweb.com/vb/threads/٧٩٢٣/، تمت زيارته بتاريخ: ٢٠٢٣/١٠/٠٤.

(٣) المقصود صحبته لمؤلفاته، حيث اعتبره حيًا بها كأنه صاحبه.

(٤) المصطلح الأصولي عند الإمام الشاطبي، لفريد الأنصاري، (ص: ٢٠).

الفحول تفحل.

المطلب الثالث: بديع الزمان سعيد النورسي

بعد سنوات من الانخراط في سلك الدعوة الإسلامية ومحاولة ترشيد الوعي الإصلاحي، سيكتشف فريد الأنصاري كنزًا ثمينًا ومجدِّدًا عظيمًا، كان له دور كبير في إعادة ترتيب أولوياته الدعوية وتعميق رؤيته الإصلاحية، هذا الاكتشاف دفعه إلى أن يكتب - حول هذه الشخصية- رواية من أنبل وأجمل الروايات وهي (آخر الفرسان، مكابدات بديع الزمان سعيد النورسي، لفريد الأنصاري) ودراسات ومقالات[1].

لقد اكتشف الأنصاري بديعَ الزمان سعيد النورسي، في العمل الأكاديمي (مفاتح النور، نحو معجم شامل للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي) الذي طُلب منه إنجازه حول «كليات رسائل النور» بمنهج الدراسة المصطلحية. وفي ثنايا هذا العمل، يُبدي فريد هذا الاكتشاف والإعجاب ويقول: «بيد أنه لم يكن يخطر بالبال؛ وأنا أشرع في قراءة «كليات رسائل النور» للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي -رحمه الله -، أن هذا التراث الضخم الذي تركه، يكتنز قاموسًا مصطلحيًّا خاصًّا، بل كان الانطباع الأولي أن هذه الألفاظ المستعملة عنده، لا تخرج عن القاموس الصوفي بمعناه التقليدي. بيد أن هذا الانطباع الأولي لم يلبث إلا قليلاً؛ حتى بدأت أدرك -بعد غوص في بحار الكليات الزاخرة-أن الأمر لا يتعلق بعالم جديد كل الجدة من تراث المصطلح الإسلامي الأصيل، لقد فوجئت بثروة مصطلحية نادرة، وكنز مفهومي ثمين، يشعر الدارس أن وراءه عبقرية ذات حس مصطلحي دقيق»[2].

ثم يعترف فريد الأنصاري بالأثر المحوري لكليات رسائل النور في إبصاره لحقائق القرآن: « ثم لا بد بعد ذلك من ذكر ما كان لرسائل بديع الزمان سعيد النورسي -رحمه الله- من أثر كبير في تجلية هذا المعنى في قلبي، ذلك بأنه -رحمه الله- كان يتعامل مع القرآن بمنهج إبصاري»[3]، بل إنه حسم الأمر بأن الداخل إلى رسائل النور، لا يمكن إلا أن يكون مبصرًا، قلت فكيف بالخارج منها؟ يقول رحمه الله: "أن تدخل فضاء رسائل النور، يعني أنك أحد المبصرين»[4].

(١) فريد الأنصاري والشخصيات الخمس التأثر والتأثير، لعبد العزيز الإدريسي، مجلة حراء، (ص: ٤٨)

(٢) مفاتح النور نحو معجم شامل للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي، لفريد الأنصاري، جامعة السلطان المولى إسماعيل، مكناس، المغرب، (ص: ٢١).

(٣) بلاغ الرسالة القرآنية، لفريد الأنصاري، (ص: ٢٠).

(٤) الكونية الأخلاقية بين علوم القرآن وعلوم الإنسان، لفريد الأنصاري، (دراسة في نظرية الأخلاق عند الأستاذ: بديع الزمان سعيد النورسي، بحث علمي ضمن كتاب، المؤتمر العالمي السادس لبديع الزمان سعيد النورسي العولمة والأخلاق في ضوء النور تركيا ٢٠٠٢، (ص: ٢٠١-٢٠٢).

ومن شدة تأثر فريد الأنصاري بكليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي، جعلها ضمن مواد برنامج العالِمية في الأصل الثاني المتعلق بالعلوم الشرعية، في (علم التوحيد والتزكية)[1].

يقول الدكتور إدريس مقبول في قضية تأثر الأنصاري بسعيد النوسي: « تأدب فريد في أخريات حياته من مشكاة أدب بديع الزمان، تلكم المشكاة التي تربط الإنسان بمعين القرآن وتفصله عن باقي المناهل، لأن كل المناهل غير القرآن، من فلسفات الإنسان تكدر على الإنسان شربه.. رسائل النور كانت المربي لفريد، فساح فيها أيامًا وليالي حتى صارت جزءًا من يقظته ومنامه، فعرف قيمة الإيمان واليقين والنفس والحق، لا كما يعرفها الواحد منا فيما تقدمه الدراسات الإسلامية والفكر الإسلامي في كراساته العقدية ومدوناته الكلامية من ممضوغات العلم كما يعبر أبو يعرب المرزوقي.. لقد عرف فريد اللهَ من خلال الموتات التي أشرنا إليها بما عاناه من بلاء المرض الذي ظل يصارعه في صبر، فطريق بديع الزمان طريق الصبر والأدب والخدمة الإيمانية والسعي في مجاهدة النفس بدوام المراقبة. وقد أدى وظيفته التي أرادها له الحق سبحانه، ورحل إلى حيث نرحل جميعًا إن عاجلاً أم آجلاً[2].

المطلب الرابع: فتح الله كولن

لم يتوقف فريد الأنصاري -الباحث عن الحقيقة- يومًا عن تتبع مشاريع الإصلاح شرقًا وغربًا، والتنقيب عن فرسانها وروادها، وقراءتها والاستلهام من منظريها، حتى اكتشف ذات ليلة إسطنبولية هذا الرجل.. خصوصًا بعد قراءة بعض كُتب الأستاذ فتح الله كولن المترجمة إلى اللغة العربية وقتئذ، من قبيل: «التلال الزمردية: نحو حياة القلب والروح»، و«أضواء قرآنية في سماء الوجدان»، وسلسلة «النور الخالد محمد صلى الله عليه وسلم، مفخرة الإنسانية»، و«روح الجهاد وحقيقته في الإسلام»، وخصوصا كتاب «الموازين أو أضواء على الطريق»[3]، وهناك صور للأنصاري وهو على فراش المرض لمجلة حراء التي يكتب فيها كولن، ويظهر من خلالها تتبعه له ولما يكتب، وقد ختم الأنصاري حياته بكتابة رواية عنه اسماها: «عودة الفرسان..سيرة رائد الفرسان محمد فتح الله كولن».

ويظهر أنه قد تعرف على فتح الله كولن من طريق مؤلفاته التي قرأها، ومن طريق اقترابه من طلاب جماعة الخدمة على وجه الخصوص في آخر أيام حياته أثناء مكوثه في مستشفى سماء باسطنبول.

---

(١) ينظر: مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية، لفريد الأنصاري، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، (ط٥)،١٤٤١هـ/٢٠٢٠م، (ص: ١١٤-١٣٣).

(٢) مقال بعنوان: في وداع زهرة النور: فريد الأنصاري رحمه الله، الدكتور لإدريس مقبول، ضمن الكتاب الجماعي: فقه الإصلاح عند الدكتور فريد الأنصاري(م.سابق)، (ص: ٥٠٦)

(٣) مقال: فريد الأنصاري والشخصيات الخمس التأثر والتأثير، لعبد العزيز الإدريسي، مجلة حراء، (ص:٤٩).

ويبدو كذلك بأن الأنصاري عندما عرف فتحَ الله كولن، تشكلت لديه فكرة واضحة عن مشاريع الخدمة في مجالات الإصلاح والانبعاث الحضاري، فبدأ يتعمق في خصائص هذا الفكر، فاكتشف جوهرآ نفيساً في طلاب الخدمة فأسماهم (رجال ولا كأي رجال)، ووصفهم بقوله: « لولا أني رأيتهم لقلت إنه مجرد وهم أو هراء أو خيال.. ظلال نورية لجيل الصحابة الكرام، جمعوا بين خصلتين عظيمتين من خصالهم الكبيرة: الهجرة والنصرة، فلم يكن منهم مهاجرون وأنصار، بل كانوا مهاجرين أنصارًا، وللصحابة فضلهم الذي لا يبارى.. أتريد أن تكون منهم؟ نعم، تلك كلمة سهلة النطق، لكنها تجربة مريرة»[1].

ويبدو أن الأنصاري تأثر بكولن لأنه وجد فيه علاماتٍ بَحَثَ عنها في غيره فلم يجدها، فهو رجل يبعث وظائف النبوة من جديد، وتلك وظائف مستنبطة من العلامات الواردة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [2]، والمتمثلة أساسًا في تلاوة الآيات، والتزكية والتعليم[3].

فكانت رواية فريد الأنصاري المذكورة بعد تعرفه الأستاذ فتح الله كولن لتوضح رؤيته الحضارية لبعث الأمة من جديد، واستفتحها بوصفه لمحمد فتح الله كولن بقوله: (رَجُلُ الأَسْرَار)، ويتحدث عنه فيذكر أنه لم يزل «يرسم ملامح الماضي في لوحة المستقبل، فينفخ فيه فيكون واقعًا بإذن الله! كلما كتب مقالاً أو خطب خطبة؛ تشكلت كلماته صورًا لقوافل الصحابة الكرام، ولجيش محمد الفاتح، يزحفون صفًّا من خلف غبار الغيب، مطرًا يهطل من أفق بلاد الأناضول على كل العالم»[4]، ثم يصفه في آخر الرواية بأنه البكَّاءُ الوحيد في هذا الزمان وأن بكاءه لم يكون عويل عجز، ولا ندب يأس، ولكنه لغة أخرى.. لغة تقدح النور في الصخر المطل على العالم من علا مشارف الجبال الشاهقة.. فإذا الطيور تقذف من حناجرها بروق البشائر الكاشفة لزمن الظلام![5].

هذه إذن أبرز الشخصيات المهمة التي كان لها تأثير كبير في حياة فريد الأنصاري، تأتي في مقدمة القائمة، فإذا نظرنا إلى العلماء والشيوخ الذين استفاد من علمهم وتأثر بمساراتهم بشكل مباشر أو غير مباشر، فسنجد أنهم كثر ولا يمكن تحديد عددهم بدقة، ولكن نستطيع أن نذكر بعضهم على سبيل الإجمال، فمنهم من شهد لهم بنفسه قائلآ: «وهم أشياخنا وأشياخ أشياخنا؛ من أمثالهم: أديب الفقهاء

(١) رجال ولا كأي رجال، لفريد الأنصاري، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (ط: ١)، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، (ص: ٢١).

(٢) سورة الجمعة، (الآية: ٢).

(٣) ينظر مقال: فريد الأنصاري والشخصيات الخمس التأثر والتأثير، لعبد العزيز الإدريسي، مجلة حراء، (ص: ٤٩)

(٤) عودة الفرسان سيرة محمد فتح الله كولن رائد الفرسان القادمين من وراء الغيب، لفريد الأنصاري، دار النيل، القاهرة، مصر، (ط١)، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، (ص: ١٣ -١٤).

(٥) ينظر: عودة الفرسان، لفريد الأنصاري، (ص: ٢٣٢).

عبد الله كنون، وشيخ المغاربة محمد المكي الناصري، والمحقق محمد بن عبد الهادي المنوني، ومسند القرءات القرآنية بالمغرب الحاج المكي بن كيران، وحجة المذهب المالكي خاتمة علماء القرويين العلامة عبد الكريم الداودي، ومحدث المغرب الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري، وعالم سوس الكبير الشيخ جيران المسفيوي، والدكتور محمد تقي الدين الهلالي، والشيخ محمد الزمزمي الغماري آل بن الصديق[1]، ومن القدماء ابن تيمية وابن القيم وغيرهما.

(١) مفهوم العالمية، لفريد الأنصاري، (ص: ١٣- ١٤).

الخاتمة وأبرز النتائج

وهذه الجولة العلمية في سيرة الدكتور فريد الأنصاري والعوامل والأعلام الذين ساهموا في تكوين شخصيته يتبن وبشكل جلي أنه -رحمه الله- مر بمراحل عدة صقل فيها تجاربه وخبراته، وأنه واحد من الأعلام البارزين الذي يستحقون مزيد بحث ودراسة، لما له من عمق تأصيلي نظري وفقه دقيق عملي.

وبعد إتمامي لدراستي هذه أستطيع عرض أبرز ما توصلت اليه من نتائج وهي كالآتي:

١- يُعدَّ فريد الأنصاري علما بارزها في ساحة الفكر الإسلامي المعاصر، أسهم بمجموع إنتاجه الغزير المنطلق أساسا من القرآن الكريم في خط طريق السير الراشد للأمة إلى ما به تحقق صلاحها وفلاحها في الدنيا والآخرة.

٢- ساهمت التربية الوالدية والتنشئة الدينية والاجتماعية للأنصاري صغيرا في رسم مساره العلمي وعطائه الدعوي.

٣- من العوامل التي أثرت في صناعة وتكوين شخصية الأنصاري: البيئة الطبيعية والعمرانية، والبيئة الأسرية والإجتماعية، والبيئة العلمية والدينية.

٤- من أبرز الأعلام المؤثرين في تكوين شخصية فريد الأنصاري: الشاهد البوشيخي، وأبو إسحاق الشاطبي، وبديع الزمان سعيد النورسي، وفتح الله كولن.

ويوصي البحث بـ:

- تخصيص مزيد من البحوث والدراسات التي تسلط الضوء على شخصية الأنصاري، خاصة في مجالات الفكر والدعوة والتربية والإصلاح.

- إجراء بحوث ودراسات عن المنهج الذي تشكلت به شخصية الأنصاري وشخصيات علمائية أخرى.

- العناية بالعلماء عن طريق البحوث والدراسات وغيرها.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١- الإدريسي، عبد العزيز، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م، فقه الإصلاح قراءة في التجربة الإصلاحية للعلامة فريد الأنصاري رحمه الله تعالى، (ط١) ، دار الأمان، الرباط، المغرب.

٢- الإدريسي، عبد العزيز، ٢٠١٤/١١/٥، في الساعة ٠٧:٤٧:٠٧، فريد الأنصاري وواجب الترحم والوفاء في الذكرى الخامسة لرحيله، هيئة تحرير مكناس بريس http://www.meknespress.com/articles/details/6019/

٣- الإدريسي، عبد العزيز، ٢٠١٩/١٠/٠٩م، فريد الأنصاري والشخصيات الخمس التأثر والتأثير، مجلة حراء، ع: ٧٤.

٤- الأنصاري، فريد، (د.ت)، مفاتح النور نحو معجم شامل للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي، (د.ط)، جامعة السلطان المولى إسماعيل، مكناس، المغرب.

٥- الأنصاري، فريد، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، (ط١)، منشورات الفرقان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.

٦- الأنصاري، فريد، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، كشف المحجوب، (ط١) مطبعة آنفو برانت، فاس، المغرب.

٧- الأنصاري، فريد، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إبصار لآيات الطريق، (ط١)، دار السلام، القاهرة، مصر.

٨- الأنصاري، فريد، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، عودة الفرسان سيرة محمد فتح الله كولن رائد الفرسان القادمين من وراء الغيب، (ط١)، دار النيل، القاهرة، مصر.

٩- الأنصاري، فريد، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، رجال ولا كأي رجال، (ط١)، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

١٠- الأنصاري، فريد، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، المصطلح الأصولي عند الشاطبي، (ط٢) دار السلام، القاهرة، مصر.

١١- الأنصاري، فريد، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م، مفهوم العالمية من الكتاب إلى الربانية، (ط٥)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر.

١٢- الأنصاري، فريد، ٢٠٠٢م، الكونية الأخلاقية بين علوم القرآن وعلوم الإنسان، (دراسة في نظرية الأخلاق عند الأستاذ: بديع الزمان سعيد النورسي، بحث علمي ضمن كتاب، المؤتمر العالمي السادس

لبديع الزمان سعيد النورسي العولمة والأخلاق في ضوء النور، تركيا.

١٣- جريدة المحجة، عدد خاص بالدكتور فريد الأنصاري، ١٦ محرم ١٤٣١هـ ٢ يناير ٢٠١٠م، ع: ٣٣٠-٣٣١.

١٤- صغيري، أبو زكريا محمد بن العربي، ٢٠٠٩م، رجال صدقوا سيرة عالم رباني من أبناء سجلماسة، (ط١)، الدار البيضاء، المغرب.

١٥- الطاهري، محمد، ١٤٤٣ هـ/٢٠٢٢م، رواية أسفار الروح سيرة فريد الأنصاري، (ط١) الدار المغربية للنشر والتوزيع، المغرب.

١٦- عي، سعد، ٢٠٢٠-٢٠٢١م، جهود الدكتور فريد الأنصاري في تجديد الفكر الإسلامي، (د.ط) جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، الجزائر.

١٧- الغماري الحسني، عبد الله عبد المومن، ٢٠١٤م، علماء وصلحاء أدركتهم، (ط١) منشورات دار الأمان، الرباط، المغرب.

١٨- قايدة، حسن، ٢٠١٠/١١/٠٥، إسهامات الشيخ الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله في الدراسات المصطلحية ، موقع الملتقى الفقهي، على الرابط: https://feqhweb.com/vb/threads/7923/.